**المحاضرة الثانية: المصطلح و نقل العلوم عند العرب**

يمكن التاريخ لبداية المصطلحية العربية ببدء ظهور الابحاث الإسلامية حول القرآن و الحديث و السيرة النبوية، حيث بدأت تأخذ مكانتها في ركب الحضارة و تفرض نفسها أثناء تدوين العلوم، حيث أصبح لدارس الإعجاز مصطلحاته و كذلك دارس التفسير و السيرة و المغازي و التاريخ و غير ذلك من العلوم النقلية التي شكلت اللبنات الأساسية في بنية الثقافة العربية الإسلامية.

يشكل المصطلح جزءا مهما في التأليف العلمي و نقل العلوم فهو من أدوات التعبير عن المفاهيم العلمية المستجدة ، و قد اهتم العلماء العرب و المسلمون بالمصطلحات العلمية و الفنية منذ عهد مبكر لكونه من مكونات العلوم و أحد أبرز مظاهرها الكاشفة عن كيفية اشتغال العقل الإسلامي و العربي في إنتاجه للمعرفة عامة، و قد اكتسب الدرس المصطلحي قيمته المعرفية من كون المصطلحات مفاتيح العلوم –حسب وصف الخوارزمي- و ازدادت أهمية المصطلحات حينما نشطت الحركة العلمية و الفكرية، و تعتبر هذه الحركة (حركة نقل العلوم) نقل العلوم الأجنبية إلى اللغة العربية و هي حركة من أخطر الحركات الفكرية التي شهدتها الامة العربية في أزهى عصر من عصورها و أعظم عهد من عهود تطورها و ارتفاع شأنها و اخصب مرحلة من مراحل تاريخها و اغناها بالفكر و المجد و الحياة.

فحركة نقل العلوم هي دائما ثمرة التفاعل الحضاري بين الشعوب المختلفة و هي نتيجة طبيعية لسنة التطور الاجتماعي الحاصل عن تفاعل الحضارات عندما يتأثر المغلوب بالغالب و الغالب بالمغلوب، أو عندما تنشأ علاقات اقتصادية و سياسية دائمة بين شعبين متباينين. فقد استطاعت حركة النقل هذه ان تضع بين يدي القارئ العربي ما توفر لدى الأمم الأخرى من علوم و آداب و فلسفات و ان تفتح له آفاقا جديدة رحبة من المعرفة شاركت مشاركة فعالة في توسيع مدارك العرب و المسلمين و وضع أسس الحضارة الجديدة التي بهرت العالم و لا تزال.

**أسباب نقل العلوم عند العرب:**

\*لم يكن للعرب قبل الإسلام شخصية عقلية واعية بالمعنى الصحيح و لم تكن عندهم نواة للتفكير المدروس المنظم، فلما جاء الإسلام تبدلت نظم الحياة كلها رأسا على عقب و انقلبت اوضاع المجتمع الجاهلي ظهرا ببطن و بطنا بظهر، فاستتبع نشوء مجتمع جديد له حاجات جديدة و آمال جديدة و أهداف جديدة و مسؤوليات و مشاكل جديدة و بذلم فقد أتيحت له فرص للتفكير و إجهاد القرائح لا عهد للعرب بها من قبل.

\*القرآن الكريم الذي يشيد بالحكمة و يحض على البحث و النظر و يدعوا إلى التفكير في خلق السماوات و الأرض و يمتدح العلم و العلماء، و لا يتسنى للعرب ذلك إلا بالخروج من قوقعتهم و الاطلاع على عالم غير عالمهم الهزيل

\*حاجتهم إلى علوم تسهل عليهم القيام بفروضهم الدينية التي تحتاج إلى حساب و تقويم و تساعدهم على تنظيم شؤونهم المالية و ضبط حساباتهم بعد التوسع في الفتوح و وفرة الخراج و استفحال (انتشار) الحضارة

\*حاجتهم إلى علاجات جديدة غير علاجات البادية البسيطة بعد أن ترهلت أجسادهم و تفشت فيهم امراض الحضر نتيجة لانغماسهم في الترف و تهالكهم على المآكل الدسمة التي أتقنها الفرس و الروم

\*حاجتهم إلى تنظيم بحوثهم التي بدؤوها في وقت مبكر بمحض الفطرة و البداهة و تمحيص ما استنبطوه من المعارف الدينية و اللغوية و العقلية و تصنيفها بدقة و حسن تبويبها

\*احتكاكهم بالعناصر المثقفة في البلاد التي غلبوا عليها و تفاعله مع الحضارات و الأفكار الجديدة التي صادفوها فيها، بما أيقظ عقولهم و نبه أذهانهم و قلب نظام تفكيرهم

\*الدعة و الفراغ و استفحال العمران عوامل مواتية للخلق و الإبداع إذا صادفت مواهب خصبة، فالإنسان يشبع أولا ثم يفكر بعد ذلك، فالاستقرار السياسي و الرفه الاقتصادي و استتباب الامن بعد الفراغ من الحروب كل أولئك من شأنه أن يصرف الهمم إلى طلب العلم و تحصيل المعارف

\*و من عوامل نقل العلوم أيضا انتشار اللغة العربية، فإن الدولة التي تستظهر على غيرها من الدول تفرض عليها لغتها و آدابها و عاداتها و تقاليدها

\*التنافس بين العرب و الشعوبيين كان من العوامل الهامة في الترجمة و نقل العلوم فقد تباهى العرب بقوتهم و قرآنهم و آدابهم فقابل الشعوبيون هذا التحدي بتحد آخر هو الكشف عن تراثهم في الادب و العلم و الفلسفة و السياسة و هكذا نقلوا آثارهم الفكرية و آدابهم القومية.

**بدء نقل العلوم عند العرب:** بدأت طلائع حركة الترجمة إلى العربية في العصر الأموي و نشطت في أوائل العصر العباسي و نضبت في أواسطه و لقد اكتسبت هذه الحركة منذ بدايتها سمة مميزة لها حبذا لو أخذت بها البلاد العربية في الوقت الحاضر و إيلائها ما تستحقه من الاهتمام و الرعاية، ذلك أن حركة الترجمة في الاسلام قد انصبت منذ الوهلة الاولى على نقل الكتب العلمية إلى اللغة العربية كالكيمياء و الطب و النجوم بينما ضلت بعيدة عن الإنسانيات و الإلهيات اليونانية حتى العصر العباسي تقريبا. و أخذت هذه الحركة تتسع و تتعمق و تأخذ مجراها العميق في العقلية العربية و الفكر الإسلامي منذ العصر العباسي و لا سيما في عصر المأمون أي حينما انتقلت الحياة العربية إلى طور جديد تغيرت فيه معظم مقوماتها، و أحس الناس في عالمهم الجديد أنهم بحاجة إلى الثقافات الأجنبية فأخذوا يقبلون عليها ، كما أخذ الخلفاء يحثون على الترجمة و يدعون إليها.حتى نشطت النهضة العلمية نشاطا عظيما و أمدت الفكر الإسلامي بغذاء دسم عظيم.

و مما هو مدعاة للدهشة أن يقوم اولئك الخلفاء في ذلك الماضي البعيد بنقل شتى العلوم إلى لغتهم العربية مع بعد المسافة و الزمن بينهم و بين الاوئل بينما نتقاعس نحن عن نقل علوم الغرب على نطاق واسع إلى لغتنا رغم أننا نعيش في قلب الحضارة الغربية.

**العصر الذهبي لحركة الترجمة و نقل العلوم**: كان المترجمون في القرن الاول من خلافة العباسيين ينقلون من الإغريقية إلى السريانية و من السريانية إلى العربية و لم يكن هؤلاء المترجمون من المتمكنين من اللغة العربية و مع ذلك بذلوا جهودا عظيمة في تكوين المصطلح العلمي و الفلسفي، و قضوا نحو قرنين أو يزيد في النقل عن العبرية و السريانية و الفارسية و الهندية و اليونانية، و اتسع نطاق العمل في بيت الحكمة بما اضيف إليه من خزائن الكتب القديمة التي كان يؤتى بها من بلاد اليونان و فارس و الهند. و شرع السريان يجمعون ما يعثرون عليه من هذه الكتب في أديرتهم و كنائسهم، كذلك أخذ كثير ممن يملكون خزائن الكتب الخاصة بهم يهبونها إلى بيت الحكمة بعد أن رأوا اهتمام المأمون بها.

**دور بيت الحكمة في نقل العلوم:** لقد ساهم بيت الحكمة في ظهور عدد كبير من المؤلفات و الكتب التي وضعت بين جدرانه، و في وفرة العلماء و الباحثين الذين يأتون إلى هذا البيت بمصادر علومهم و تصانيفهم، ففي هذا البت كتب الرياضي الشهير محمد بن موسى الخوارزمي أهم مؤلفاته الرياضية و لا سيما كتاب "الجبر و المقابلة" كما ان الاصمعي اللغوي الشهير و الفراء النحوي المعروف و المؤرخ حمزة الاصفهاني و ابن النديم و غيرهم قد وضعوا اهم كتبهم في هذا البيت العتيد و الخلاصة هو أن بيت الحكمة هو اول مجمع علمية ذي شأن في العالم الإسلامي أنفقت عليه الدولة العباسية بسخاء و كان يجتمع فيه العلماء للدرس و الاطلاع، و يلجأ إليه الطلاب للقراءة و التعليم و يأتيه الباحثون من مختلف الأقطار الإسلامية يأخذون عنه و ينهلون من ينابيعه الغزيرة الفياضة.

**نقل العلوم عند الغرب:** لقد كانت حضارة العرب مصدرا هاما من مصادر الحضارة الأوروبية الحديثة و عنصرا لا يستهان به من عناصرها و مستقى ثريا من جوانب حياتها. فهي التي شقت الطريق أما الثقافة غربا و ساعدت على انتقال العلوم من إفريقيا إلى أوروبا، و كذلك هي التي حررت الفكر اللاتيني و أطلقته من عقاله و من قيود السلطات الدينية و محاكم التفتيش و رواسب الوثنية الإغريقية، و هي أخيرا التي أغنت العلوم القديمة بما أضافت إليها من مبتكرات جديدة هي وليدة أفكار العرب و ثمرة من ثمرات عبقريتهم. و يمكن القول أن الحضارة الحديثة لم يصنعها التأمل اليوناني بقدر ما صنعها العلم الحديث الذي شاركت العرب في تأسيسه. ثم إن الإغريق قد نظموا و عمموا و وضعوا النظريات و لكن روح البحث و حشد المعرفة اليقينية و طرائق العلم الدقيقة و الملاحظة الدائبة كان بعيدا عن المزاج الإغريقي، و إنما كان العرب هم أصحاب الفضل في تعريف أوروبا بهذا العلم كله.

و بكلمة مختصرة غن العلم الاوروبي مدين بوجوده للعرب و هذا ما يقر به بريفولت brifault" " في كتابه "تكوين الإنسانية" و كذا "جورج مالغون" فيقول في كتابه العظيم "المدخل إلى تاريخ العلم" عندما أمسى الغرب مستعدا استعدادا كافيا للشعور بالحاجة إلى المعرفة أعمق، و عندما اراد آخر الامر أن يجدد صلاته بالفكر القديم ، إلتفت اول ما إلتفت لا إلى المصادر الإغريقية، بل إلى المصادر العربية"

و يضيف روم لاندو" و حين نتذكر كم كان العرب بدائيين في جاهليتهم يصبح مدى التقدم الثقافي الذي أحرزوه خلال مائتي سنة فقط انقضت على وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم – و عمق ذلك التقدم يصبح ذلك نله أمرا يدعو إلى الذهول حقا ذلك بأن علينا ان نتذكر أن النصرانية احتاجت إلى نحو ألف و خمسمائة سنة لكي تنشأ ما يمكن أن يدعى حضارة مسيحية".